الدينـونـــة

صورة من صور الله انه قاض لأن الإنسان جاءه تكليف ليرعى هذه الأرض لتعود خيراتها رزقا للإنسان وتالياً قربانا لله اذ كل ما خلقه يعود اليه بقوة وتعزيز. وما كان تراباً يلبس النور في اليوم الآخر ليعترف الرب ان هذا كان خلقه. ما يقوله الخالق للمخلوق ان أدِّ حسابك عن نفسك وعن حراثتك للأرض بما فيه كم الجهد ونوعيّته ولانهائية إنتاجه فيظهر الانسان بذا انه اقتنع بانه خلق على صورة الله ومثاله.

الإنسان والخليقة واحد والسؤال المطروح عليه في اليوم الأخير هو: ماذا فعلت بنفسك وبأخيك وبالأرض التي سلّطك عليها تخدمها حتى تخدمك؟ والسؤال يتضمّن هل أهملت نفسك وأخاك والعالم ليحلّ الجدب في هذه الخليقة التي لما خلقتها ذقتها.

هل تذكر هذا: "وقال الله ليكن نور فكان نور. ورأى الله النور انه حسن" (تكوين 1: 3و4). وفي تأويلي ان هذا لا ينحصر في ما بدا ضوءًا محسوساً. لكنه نعمة هذا الضياء على الخليقة كلّها فاذا استنارت الدنيا تأتي منها الخلائق التي يذكرها سفر التكوين. وما ينزل على الخلائق حسن لأنه يتنزّل من فوق وبعد هذا تجبله بالتراب الذي انت منه وبالتراب الذي منه الخلائق.

والإنسان يتحوّل الى نار اذا قبل ان مخلوقيّته هي بالكلمة. في سرد قصة الخليقة ظهرت الموجودات كلها بالكلمة وبعد رقي كبير جاءت النبوءة بالكلمة بحيث تصير انت انسانا آخر مكوّناً من هذه الأرض ومن السماء معًا. وترابيّتك تسقط اذا عرفت ان توظّف النور الذي انسكب عليك. غير ان العتمات قد تهاجمك لتطرد النور الذي فيك او تدفع نورك ليطارد العتمات. انت مسرح الظلمة والنور فاذا قبلت ان تصبح مسرح الله فقط، تجاهد جهادًا حسناً ليبقى الله وحده صاحب المكان. كل نعمة الله هي فيك فقط. لكنك لن تجاهد جهادًا شرعيا الا بأسلحة النور اذ لا تعلم الله شيئاً عن فنون الحرب الروحية التي يجب ان تخوض. هو يعلّمك كلّ شيء وهذا نسمّيه النعمة. فإن رفضت ان تخوض حربه تكون سلّمت نفسك الى العدو.

في هذه الحرب التي نخوضها ولأنّ الرب سلّمك نفسك تصبح مسؤولا عن استعمال السلاح الإلهي فيك فتمسك به او تهرب الى اللاشيء.

وما نسمّيه الدينونة هو سؤال ربّك ايّاك: هل استعملت السلاح الذي سلّمته ايّاك أم هربت من المعركة فاستولى العدو عليك. هل كنت أميناً على تفويضي؟ وانا سلّمتك ما كنت تستطيع ان تحمله ولن أسألك عن أكثر منه. هناك من كان أعلى منك قامة فوهبته ما كان قادرا على احتوائه. هذا أسأله كثيراً والفرق بينك وبينه أمر لا يعنيك. انا وحدي عارف بالأحجام.

يبقى اني سأقاضيك لأن الأشياء التي كانت فيك هي لي. انها ودائعي. واذا فرّطت بها ففي قوانين البشر هذا يسمى سوء ائتمان. أرجو الا تتكل على حناني من دون معرفتك بقضائي. اما كيف أجمع بين القضاء والحنان فهذا أمر لا تعرفه ولن أكشف لك الا عند حصوله في اليوم الأخير اذا حصل.

ليس من حقّك ان تقول للملاك الذي يسوقك الى يوم الدينونة: لماذا لا توفر عليّ هذا المثول؟ ان واحداً من أحبّتي كتب: "هائل هو الوقوع بين يدي الله الحي". كيف لا تكون من الواقعين اذا انا مددتك بالنور وعدت اليّ بالظلمة؟ كيف أقرأ عتماتك نوراً وهي ليست بذلك. هل تسمي هذا حناناً ورأفة ومغفرة؟ انا تحدثت عن الغفران لئلا تقع في دنياك في غيبوبتك اذا شاهدت نفسك مفتّتة. انا أستطيع أن أرحمك في دنياك لكني لا اقتحم نفسك اقتحامًا. يجب ان تدعوني اليك وهذا يسمى التوبة. لكن غفلتك عن نفسك تجعلك ترجئ التوبة لكونك توكّلت على غفراني. انت مدعوّ الى ان تعمل معي. شيء من مطواعيّتك مطلوب. ولكونك مخلوقاً أنا أعطيتك حريّتك وما قلت لك اني بديل منها. اذا ذقت محبتي فهي ترشدك الى جميع الحق ولكن اياك ان تعتقد إني أجرّك اليك جرًا لأن في هذا اقتحاما لحرية فيك أنا ابدعتك عليها لتفهمها وتعرف كيف تلقاني بها. واحد قال اني دفعت اليك وزنات لكي تستثمرها. سوف أسألك عن الوزنات فاذا أغفلت عن توظيفها على طريقة اهل الدنيا الذين يعرفون كيف يوظفون اموالهم لن يبقى لك مني ميراث، هذا الذي اعددته لك لو كنت طائعاً.

سأسألك عن كل خير وعن كل شر لأن الخير منّي والشر منك وكان يجب ان تبدده. لا تقل جاءتني ظروف فاضطرتني الخطيئة. هل نسيت اني جعلت لك ظروفاً افضل وهي ظروف النعمة واني احببتك كما لم تحب نفسك؟ لكنّك لم تعرف ان تحبّ نفسك وأحببت عليها خطاياك.

لا تظنّ اني دفعت لمن ارسلتهم وصاياك ليضيقوا الحياة عليك. فأنا ليس من طبعي تعذيب من أحب وأحببتك ولم تفهم وخدمتك ولم تحس. خطيئتك انك لم تحس بي وأحسست فقط بخيالات رأسك وشهوة بطنك. واستكبرت بجمالك وما ظننته جميلا فيك وكل هذا من صنع البشر.

ستحضرك الملائكة امامي وأذكّرك بما فعلت لأنك لا تحب ان تنسى اللذائذ التي استسلمت لها وما أحببت ان تستسلم للفرح الذي تؤتاه من الفضائل التي حدّثتك عنها لتعظمك.

سوف أقول لك هذا لأنهضك من الغيبوبة الطويلة التي وقعت عليك، لتقرأ نفسك وما أحببت ان تقرأها. سأكشف لك ذاتك بما اقترفته بالفعل وبالقول وبالفكر اذ كنت تغمض عيني نفسك كي لا تراها.

في اليوم الآخر سأريك نفسك كما انت. غالبا ما ترتجف لأن الإنسان لا يستطيع ان يرى القباحة ويحيا. أنا إله الفهم ولا أخلّص إنسانًا غبيًا. لذلك كان لا بد لك في اليوم الأخير ان تقرأ نفسك كما أنا أقرأك.

وبعد أن تشاهد بشاعتك وقد استطعت ان ترى عليّ لمحة من نور وتطلب مني ان أبدّد بشاعتك فسأنقيك بماء كلمتي الأخيرة: أنا أحبّك لأنك ابني على رغم انك سهوت كثيراً وأردت ان تؤذيني. سأخلق فيك من جديد محبّة لجمالات السماء.

انت الآن امامي واقف عارياً. سآمر ملاكك ليلقي عليك الحلّة الذهبيّة التي تجعلك مؤهّلاً لمجالسة القديسين الذين أرضوني وأوحّد بينهم وبينك مع انك لم ترضني على الأرض واذا رأيتك وانا أعبر طرق السماء لن أشاهدك الا لابسا الحلّة الذهبيّة وقد أيقنت الآن اني انا ألقيتها على عرائك.

تعال الآن ايها الحبيب فإني ولو جلبتك الى محاكمة الا اني لن أجلبك الى الدينونة.

المطران جورج خضر